

بسم الله الرحمن الرحيم

كلاس نمبر (35) سورة البقرة آية : (7)

خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ (البقرة : 7)

كلمة " سَمِعِهِمْ "

كلمة " سَمِعِهِمْ "

سمع : مصدر من باب فَعَلَ يَفْعَلُ أَي سَمِعَ يَسْمَعُ سَمْعًا سَمْعًا وَسَمِعًا وَسَمَاعًا وَسَمَاعَةً وَسَمَاعِيَّةً من ثلاثي المجرد و مجرور بحرف الجر " على " و علامة جر الكسرة الظاهرة في آخره لأنه مفرد و لم يكن منونا لأنها مضاف إلى ضمير الغائبين المتصل معها .

هم : ضمير متصل للغائبين , و كسر هاء الضمير نحو: " عَلَيْهِمْ " و " عَلَيْهِ " و " فِيهِ " و " فِيهِمْ " .
الأصل في هذه الهاء الضم لأنها تضم بعد الفتحة والضممة والسكون نحو: " إِنَّهُ " و " لَهُ " و " غُلَامُهُ " و " يَسْمَعُهُ " و " مِنْهُ " ، وإنما يجوز كسرها بعد الياء نحو: " عَلَيْهِمْ " و " أَيَدِيهِمْ " ، وبعد الكسر نحو: " بِهِ " و " بِدَارِهِ " ، وضمها في الموضعين جائز لأنه الأصل، وإنما كسرت لتجانس ما قبلها من الياء والكسرة، وبكل قد قرئ.
فأما " عَلَيْهِمْ " ففيها عشر لغات، وكلها قد قرئ به : خمس مع ضم الهاء، وخمس مع كسرها .

معنى السمع لغة :

السمع : مصدر يطلق على حاسة السمع و هي قوة في الأذن يدرك به الأصوات .

معناها اصطلاحاً :

ذكرت كلمة السمع ومشتقاتها وتصاريفها في القرآن الكريم 185 مرة و يتضمن ثلاث درجات:
فأول ذلك: الإحساس بالصوت دون فهم، وذلك مثل: مثل الطفل الوليد الذي لا يفقه معنى الكلام وهو يحس بالصوت لكنه لا يفقه معناه، أو كالدواب السارحة التي إذا نعت بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، فلا تفهم ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، وهذا مذكور في قول الله تعالى:
وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ [البقرة: 171]

والثاني: هي الإحساس بالصوت مع الفهم وذلك في قوله تعالى:

وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة: 75]

والثالث: هي الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة وهي أعلى درجات السمع التي تُمنح

للمؤمنين كما في قوله تعالى: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ.. [الأنعام: 36]

السمع في القرآن :

النصوص القرآنية تفرق بين السمع والبصر من ناحية , والعين والأذن من ناحية أخرى .
فتذكر الآيات القرآنية السمع والبصر في معانٍ حول الفكر والفهم والتدبر .
بينما تأتي العين والأذن مراداً بها الأعضاء الناقلة للمؤثرات الحسية .
الآيات التي ذكرت فيها العين والأذن مع ما يناسبها العمل دون وظائفها (السمعية والبصرية) :
(الأذن)

فَصَرَّفْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) سورة الكهف : 11

(كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) سورة لقمان : 7

(العين)

(تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) سورة المائدة : 83

(وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) سورة يوسف : 84

(تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) سورة الأحزاب : 19

والآيات التي ذكر فيها المصدر أو القوة المدركة (السمع والبصر) ذكر فيها معنى الإدراك والتفهم والتدبر أي :
ذكر فيها معنى العقل . وهذه أمثلة لذلك :

(وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة النحل : 78

(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) سورة الإسراء : 36

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سورة الروم : 23

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) سورة ق : 37

وهناك آيات جمعت بين الأعضاء والوظيفة :

(وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا) سورة الأعراف : 179

(أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) سورة الأعراف : 195

السمع والكلمات التي في معناها :

والقرآن العزيز فترق بين السماع والاستماع والإصغاء والإنصات بطريقة بليغة ودقيقة ومناسبة للموقف :
فالسمع يكون بقصد ومن دون قصد، ومثاله في كتاب الله العزيز قوله تعالى : وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ [القصص :

[55]

والاستماع يكون بقصد من أجل الاستفادة، قال الله تعالى : وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَقْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ

[الأحقاف : 29]

والإصغاء: حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، قال تعالى: **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** [التحریم: 4]
والإنصات هو ترك الأشغال والسكوت والتفرغ للاستماع، **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**
[الأعراف: 204]

وعن أبي موسى الأشعري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا"**. أخرجه مسلم في صحيحه ورواه أهل السنن.

السمع في الآخرة:

ذكر القرآن أن السمع في الآخرة هو من وسائل التنعيم والتكريم للمؤمنين وأن الحرمان منه من أنواع العذاب المعدة للكافرين.

فلما كان المؤمن هو المستفيد بسمعه في الدنيا وهبه الله أفضل السماع بالآخرة فقال تعالى:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا [الواقعة: 25-26]

ولما عطل الكافر سمعه بالدنيا حرمه الله السمع في الآخرة، قال تعالى:

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ [الأنبياء: 100]

فائدة :

السؤال : قال تعالى : **(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ)** [البقرة: 7] ، لماذا استعمل الله جل وعلا كلمة "سمع" بصورة مفردة في هذه الآية الشريفة، بينما استخدم كلمتي "قلوب" و "أبصار" بصورة الجمع ؟

الجواب : قال بعض المفسرين: إن مفردة "سمع" الواردة في هذه الآية المباركة جاءت بمعنى المصدر ، ومتى ما أضيف المصدر إلى كلمة ما أفاد معنى الجمع والعموم ولا حاجة الى جمعه بعدئذ . في حين أن كلمتي "قلب" و "بصر" استعملت كأسماء لأعضاء خاصة ، وعليه وردت في صورة الجمع .
وأرجع البعض الآخر من المفسرين سبب التفاوت في الكلمات المذكورة الى أن كل إنسان يدرك بقلبه وفكره أشياء متعددة ، ويستشعر بعينه الألوان والأشكال والأحجام المختلفة ؛ وبما أن مدركات هذين العضوين متعددة ومتنوعة فكان لكل واحد من أفراد البشر قلوب وعيون كثيرة فذكرت الكلمتان بصورة الجمع . هذا فيما لا تدرك حاسة السمع لدينا سوى الأمواج الصوتية الصادرة من الأشياء ؛ ومن هنا نجد أنها استعملت بصورة مفردة .
وصحيح أن الأصوات متنوعة أيضاً ؛ بيد أن تنوعها لا يبلغ حد تنوع تلك الأشياء المرئية بالعين أو المدركة بالفكر والقلب بتاتاً .

و قيل : لأن السمع لا يمكن أن يدرك عدداً من المسموعات . إدراكاً معه فهم وضبط . في وقت واحد أبداً، فلا يمكن للسمع أن يسمع كلمتين في وقت واحد ويفهمهم جميعاً فهماً واضحاً كما هو معلوم ظاهر، ومن أراد أن يجرب فليضع في أذنيه

سماعتين أثنيتين وليحاول أن يفهم في وقت واحد كلا الكلامين فهماً واضحاً.

أما البصر؛ فيمكن أن يدرك بوضوح أكثر من شيء واحد في الوقت نفسه، فيمكن أن يرى شخصين أو سيارتين في الوقت نفسه فيميز هذا من ذلك دون عناء.

هذا

و الله أعلم بالصواب و أسأل الله التوفيق و السداد
و صلى الله على حبيبه سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين